

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى - تاسوست - جيجل
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في:

الشعر العربي القديم

من إعداد / أ. بوفاس عمر

السنة الجامعية: 2024-2025

المحاضرة الأولى

مدخل إلى الشعر العربي القديم:

الشعر العربي القديم فن قولي محاط بموهبة نظرية فطرية تشحنها قريحة عربية أصيلة، وتساندها تجارب حياتيه، جعلت منه رؤية فنية، لها طعم ومذاق خاص، أثرت المعجم العربي بمفردات وجمل قلّ نظيرها، ووجهت القول الفني في أساليبه الشعرية والبلاغية وأنماطه التعبيرية.

والشعر من الفنون الجميلة التي تسميها العرب الآداب الرفيعة، وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر، ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة، فالحفر يصورها بارزة والرسم يصورها مسطحة الأشكال والخطوط والألوان، والشعر يصورها بواسطة الخيال، ويعبر عنها بواسطة الألفاظ، والمعاني بواسطة الأنغام والألحان.

والشعر من ناحية، هو الوجه الذي تقرأى العربي فيه ليعتد برحلته في الزمان، ويختزل الوجود محباً في المخزون من لغته، ويعرض خصائصه فيه، خيرها وشرّها، لقد عشق الكلمة حتى بث فيها الروح، ومن ثم استطاع الشعر أن يكون المعطى المتفاعل المؤثر والمتأثر في الإنسان العربي بطول تواجده حضارياً وتاريخياً على الأرض، إنه المجال الذي حقق فيه وجوده وأصبح ديوان العرب، وعلمهم الذي لا علم لهم غيره، وأعلى مناشطهم كلها: الحضارية والروحية والمادية.

- الشعر عند العلماء العرب:

علماء العرب قديما قصدوا بالشعر الكلام الموزون المقفى واختصروا حدوده بالألفاظ، وهو تعريف للنظم، وإن كان الوزن والقافية يزيدان الشعر وقعا في النفس، فالنظم هو القالب الذي يُسبك في الشعر، غير أن ابن خلدون قدم لنا تعريفا له، حيث يرى أنه: الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به".

والشعر الصحيح لا بد أن يكون فيه ركنان:

- إثارة الشعور، حتى يشعر السامع بصدق العاطفة.

- أوزانه الخاصة، فلو عرّف بأنه الكلام الموزون المقفى الصادر عن العاطفة والمثير لعاطفة كان تعريفا أقرب إلى الصواب.

- والوزن في الشعر كالنغم في الموسيقى: حادثة صوتية يمكن أن تنشأ من صوت الإنسان أو آلة موسيقية تتميز بخصائص كالشدة (الجهارة)، المدة، الحدة، تتابع النغمات أو توالي الأصوات الخاضعة في تنظيمها إلى رغبة الملحن".

لقد كانت موسيقى الشعر العربي في الفترة التي وصلنا جزء من نتاجها الشعر فترة مخاضات إيقاعية وولادات موسيقية، لم تحصرها القوانين، حيث كان الشاعر يختار الكلمات كأنها أنشأت

وصاغت وزن البيت إنشاءً وصياغة قبل أن تحصرها القوانين وتقيدها القيود في المرحلة الأولى لنشأة الشعر العربي.

- شاعرية العرب:

عُرفت العرب بأنها من أقدر الأمم شاعرية، وأقدرهم على نظم الشعر، والدليل على ذلك كثرة شعرائهم وضروب شعرهم في العصر الجاهلي - قبل الإسلام - ويرجع ذلك لعدة أسباب:

1/ إن العربي بالفطرة ذو نفس حساسة وشعور راقٍ وأريحية وألفة، وقد جعلته الصحراء ذا نفس شفاقة سريع الطرب سريع الغضب، وهو صاحب مزاج عال، وبديهة راقية وارتجال واضح، يلفظ ويعبر عما يجيش به صدره فوراً من دون تردد أو تأخر، فهو صاحب إحساس مرهف يصور بالشعر مشاعره، وهو يصدر عن عوامل أربعة: رغبة، رهبة، طرب، وغلبة.

2/ لغة العرب الشعرية، وذلك لما فيها من أساليب الاستعارة والتشبيه والطباق والترادف، ودقة التعبير مما يسهل وجود القافية.

سعة اللغة العربية، فألفاظها من أدل الألفاظ، وهي غنيّة بالأمثال والحكم والمعنى والعبر.

3/ صفاء جوّ العرب: الصحراء والبادية: وتفرغهم للتأمل في الطبيعة، مع صفاء الذهن وخصوبة الخيال، وامتداد الصحراء، وهو ما ساعد على إخصاب شاعريتهم وتقويتها خاصة أنهم كانوا متفرغين للنظر في الوجود ومراقبة أحوال الطبيعة (البرق، السراب،....).

4/ كثرة حروبهم ومنازعاتهم وأيامهم وكثرة أشواقهم وتنافسهم في مجال الحياة والقيم، فكثرت المفاخرات والمناظرات بينهم، وهو ما أخصب شاعريتهم حيث زادت المنافسة قوة على قوة.

- الشعر الجاهلي: ماهيته أغراضه وخصائصه:

لئن اقترنت لفظة الشعر من شعر بمعنى الإحساس والشعور الذي غلب عليها، فإنها في الحقيقة غير منحصرة فيه، إنما هي تتسع لتعبّر عن أحد الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة، وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر، التي مرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة، والشعر في الأصل هو العلم الذي طريقه الإحساس والشعور، فقد أطلقه العرب قديما على كل علم، فقد كان عندهم " ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون"، أو كما ورد في قول لعمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه".

ويؤدي هذا الوصف للشعر دلالة أوسع من معنى الشعور والإحساس، إذ تكسبه العبارة دلالة التسجيل لحياتهم بكافة ألوانها، والجمع والإخبار عن كل دقائقها والحفظ والتخليد لكل أثارهم، هذا التسجيل والإخبار الذي يأتي ممزوجا بالإحساس والشعور.

على أنه لا يفوتنا ما سجله الدارسون لهذا الشعر من ضياع جزء هام مما لم تستطع ذاكرة العربي حفظه ونقله إلينا، فقد ورد لنا عن عمرو بن العلاء "ما انتهى إليكم مما قالته العرب إلا أقله ولو جاءكم علم وشعر كثير"، وترشح عن هذا القول حقيقتان:

- ضياع وسقوط كثير من الشعر الجاهلي، وهي حقيقة تبرز أعميته وحجم العلم الذي ضاع.

- تأكيد قيمة الشعر الجاهلي، من حيث هو علمهم الذي صور حياتهم ونقل أخبارهم.

كذلك تقودنا حقيقة ضياع الشعر الجاهلي إلى الطريقة الشفوية التي نقل بها إليها، فهو ولم يصل إلينا مدونا أو مكتوبا بقلم جاهلي، وإنما وصل إلينا منقولاً عن صدر الإسلام، وهو ما أدى إلى ظهور إشكالية الصحة من حيث إسناده إلى غيره وإلى من قالوه: فقد اختلف العلماء في هذا الشعر فرأى بعضهم أنه صحيح في أكثره، وبالعكس آخرون فقالوا: إن ما وصلنا منه متحل موضوع لأغراض دينية سياسية، ورأى آخرون أن فيه الصحيح والفساد والمندسوس، فقد شك طه حسين في صحة أكثر الشعر الجاهلي - وردّ عليه كثير من علماء وأدباء مصر والبلاد العربية - لكن الاختلاف لم يكن في وجود شعر جاهلي أصلاً أو عدم وجوده، فحقيقة وجوده لا يشك فيها أبداً، وأصل المشكلة هو أن هذا الشعر المروي لنا والمدون في بطون الكتب، هل هو جاهلي حقاً أو منحول فاسد محمول على الجاهليين أو وسط بين هذا وذاك؟.

والجواب على هذه المشكلة يبرز من خلال:

- شعر المخضرمين، فهو خير إثبات على وجود الشعر الجاهلي، لأنه لا يمكن أن يكون قد ظهر فجأة من غير شعر سابق، ومن غير شعراء سابقين مهّدوا لمن جاءوا من بعدهم ووضعوا لهم أسسه من بحور وقواف وجددها المخضرمون فنظموا عليها.

- سورة الشعراء في القرآن الكريم إثبات يدل على كثرة انتشار وتأثر الناس بالشعر وقت نزول

القرآن الكريم، وعلى تأثير الشعر في النفوس وتلاعبه بأفئدة الجاهليين.

- وصف الجاهليين للرسول بالشاعر كما اخبر القرآن يدل على ما كان للشعر من أثر في نفوس القوم، وفي الحديث: أن من البيان لسحر ومن الشعر لحكمة.
- الأخبار التي تواردت عن انتشار الشعر في العصر الجاهلي، ومكانته فيه من فخر وهجاء ومدح واستعطاف، فقد "تحدث معظم المخضرمين كحسان، والحطيئة وعبد بن الطبيب عن ذكرياتهم في الجاهلية ورووا ما نظموا فيها من أشعار ما وعوه من المناسبات التي نظموا فيها، وما احتوت من مجالس سمر تناولت الحوادث والأيام والشعراء".

- دور الشعر الجاهلي وأثره:

- يتجلى دور الشعر العربي الجاهلي على العرب في:
- استجابة نفس العربي له بسرعة خاصة وأنهم ذووا إحساس مرهف، تحديدا في المغازي والحروب التي كانت تميز بيئة الإنسان العربي، فكان وسيلة من وسائل التحريض والاستبسال في القتال.

- تأثيره في النفوس في مواقف المدح والذم والفخر.
- حفظه لأخبار العرب وحروبهم وعاداتهم وبقاء ذكرها إلى اليوم.
- حفظ لغتهم وأساليب كلامهم.

- كشف جانب هام من حياتهم: إذ صور الحياة المعنوية ونقل لنا جوانب القيم المختلفة محمودها ومذمومها، وذلك عندما رصد التصورات الأخلاقية المتوازنة بينهم، فصور الخصال التي تمدحت بها العرب في الخلق والسخاء والشجاعة، والوفاء والأمانة والصدق، وأصالة الرأي والبيان...، في باب المديح وأظهر في مقابل ذلك الخصال المذمومة التي نفر منها العرب، وذمت من كان عليها، كالسفه والطيش والبخل والجبن وتضييع الأمانة وقلة الوفاء في باب الهجاء.

لقد تحددت مهمة الشعر الجاهلي ودوره من خلال الإبانة عن منظومة القيم التي دعا إليها أو نهي عنها، أو من خلال ما دار حوله من مديح يجلى جانب الخير، مقابل ما دار حوله من هجاء يبرز جانب الشر، أو كما قال جابر عصفور: "المهم أن المحور الذي تدور حوله كل هذه الخصال هو الخير في مقابل الشر، وإذا كان المدح يبرز الوجه الإيجابي للخير، فإن الهجاء يبرز الوجه السلبي للشر، فيؤكد تأكيداً ضمناً بتحقيق نقيضه".

المحاضرة الثانية :

أغراض الشعر الجاهلي وفنونه:

- نهضة الشعر في أواخر العصر الجاهلي:

تمثل هذه المرحلة عصر النضج الذي يمثل قمة ما توصل إليه الشعر الجاهلي، ويمثل هذا الأخير فيها الأرضية والمرجعية الموضوعاتية والفنية التي تدور حولها كلّ دراسة تتغنى مادة الشعر الجاهلي، وتمتد هذه المرحلة حوالي قرنين من الزمن إلى تاريخ البعثة المحمدية، كما تمثل هذه المرحلة المناخ الذي هباً لنضج الشعر الجاهلي، ومظهر الدعائم الأساسية لاستوائه لإصلاح ما سمي "تقصيد القصيد" في عرف القدماء كما نص عليه ابن قتيبة أول مرة، أو فيما اشتملت عليه من أغراض، طالت فيها القصيدة أو قصرت، ملتزمة وزناً واحداً وقافية واحدة لا تخرج عن دائرتهما.

هذا النهج الذي أشار إليه الشاعر الجاهلي في قصيدته، عُدد مثالا سواء في الأغراض المطروحة والمعاني السائدة فيها أو في الموسيقى الواحدة، فلا يجب أن يخرج عنها الشاعر وإلا لا يعترف له بالشاعرية والشعرية.

- الغرض في الاصطلاح الشعري العربي:

يمكن القول أن الغرض من الشيء الهدف الذي يرمي إليه في فعله أو سلوكه على هذا النحو، فإذا افترضنا أن الشيء المقصود هو الشعر، كان الغرض منه ما يحققه من أثر على المتلقي عن طريق

مجموعة من المجالات التي يدور حولها قوله، هذه المجالات هي التي تسمى بفنون الشعر، والتي من أهمها المدح والهجاء والغزل والنسيب والوصف والثناء والفخر والاستعطاف وما شابهها، بيد أنه تم حصر الغرض في هذه المجالات أو الفنون التي تعد بمثابة بواعث الأثر الشعري، وبات مصطلح أغراض الشعر"، مترادفاً ترادفاً كلياً مع مصطلح "فنون الشعر".

وبواعث الأثر الشعري هي الحوافز النفسية التي وجهت الشاعر وأملت عليه هذه الأغراض ، وقد حصرت عند الشاعر الجاهلي في الطرب، الرهبة، الرغبة (امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا شرب).

كذلك فإن للبيئة أثرها الواضح في الصور التي ألفها الشاعر، والأحداث التي صاغها عن واقع حياته هو أو قبيلته ومجتمعه، والبيئة الصحراوية التي احتضنته في بساطها، وقيمها وفي بيئته الثقافية، بما تدل عليه من نظام اجتماعي واقتصادي وسياسي – إذا جاز التعبير – وهو ما ظهر في الأغراض التي تناولها الشاعر الجاهلي وما اشتملت عليه من أخلاق العربي في تلك المرحلة، ومثل الحياة العليا كما كان يراها، وهو ما جسّدته الأغراض / الفنون، التي تضمنتها قصائده كالفخر ، المدح الحماسة، الاعتذار والحكمة والوصف...

- غرض الفخر:

مدحُ الشاعر نفسه وقبيلته كما نصَّ على ذلك النقاد القدماء كأبي هلال العسكري "مدحك نفسك بالطهارة والعفاف والحلم والعلم والحسب وما يجري مجرى ذلك أو مدح يعيده المتكلم على نفسه أو قبيلته".

وهو التغني بالفضائل والمثل الأعلى وهي من توابع العصبية القبلية، فقد كان الشاعر يفتخر بقومه أولاً وبنفسه، ويتجلى فخره بالشجاعة والبطولة، الكرم النجدة، الوفاء والحلم...، وكان الشاعر مقتصداً في فخره لا يعمد إلى المغالاة، قال ابن رشيق "ليس لأحد أن يطري نفسه أو يمدحها في غير منافرة" إلا أن يكون شاعراً.

وفي فخر الشاعر بذاته يصور نفسه نموذجاً مثالياً للبطل البدوي، فهو يفخر بنفسه واصفاً أياها بأهم فضائل الأخلاق العربية من ناحية، ومظهرها أياها في الأوضاع المتميزة للحياة البدوية من ناحية أخرى، ركوب الصحراء، الصيد والصراع، ومجلس التشاور ومجلس الشرب ومجتمع النساء وهنا تأتي الفرصة لوصف ممتلكاته، الراحلة والمحبوبة.

والفخر مطلب طبيعي يحق لكل فرد التمتع به لكونه يحقق غايات إنسانية تبدأ بتحديد الهوية لتصل إلى تحقيق الوجود الذاتي والجماعي، كما في أبيات لبيد بن ربيعة العامري:

إني امرؤ منعت أرومة عامر *** ضيمي، وقد جنفت عليّ خصوم

جهد والعداوة لها، أصدّها *** عني مناكب عزها معلوم

منها حويّ والذهاب وقبله *** يوم ببرقة رحران كريم

وغداة قاع القرنين أتينهم *** وتردّ منها غانم وكليم

حيث يوجه الشاعر انتماءه وأرومته إلى قبيلته (عامر) مفتخرا بها، لأنها تمنع عنه الضيم /الظلم، وتصدّ عنه الأعداء حين تجور عليه الخصوم، فالقبيلة ضمان تأمين الأفراد نفسيا اجتماعيا وجسديا، ولذلك حق الافتخار بها وقال حسان بن ثابت:

فمن يك عنا معشر الأزد سائلا *** فنحن بنو الغوت بن زيد بن مالك

وزيد بن كهلان الذي نال عزه *** قديما، دراري النجوم الشوابك

إذ القوم عدّوا مجدهم وفعالهم *** وأيّامهم عد التقاء المناسك

وجدنا لنا فضلا يقرّ لنا به *** إذا ما افتخرنا كل باق وعالك

نلاحظ الانتساب إلى الذات الجماعية (الأجداد، الآباء، الأبناء، الأحفاد..) في البيت الأول، البيتين الأخيرين خروج من النسب والأرومة إلى الإشارة إلى الفخر بالأجداد والفضائل عبر تاريخ القبيلة/والزمن.

والافتخار بها طبعي، "لأن القبيلة في تشكيل الولاء وصناعة أجددياته خارطة وراثية، من منطلق أن القبيلة حالة بيولوجية ورابطة عصبية ترتقي تلقائيا إلى رابطة سلوكية واجتماعية، يتشكل

بعدها إطار تنظيمي تتأطر فيه فاعليات الأفراد، تحت تأثير عوامل موضوعية متداخلة متشابكة هي
المسؤولة عن هرم القبيلة".

ينظر: الفخر الجمعي / القبيلة: معلقة عمرو بن كلثوم، فهي تفيض تعاليا وفخرا وتشمخ علاء
ورفعة حتى على الملوك الحاكمين، ففيها تصوير لأعجاد القوم، ووصف بسالتهم وتفخيم للإحساس
بالذات، الذي تغدو فيه القبيلة فردا والفرد قبيلة وفيها من التغني بالمكان والمفاخر القوم، ما يرفع
أفرادها إلى سادة الدنيا.

وقد علم القبائل من معدّ *** إذا قبب بأبطحها بنينا

بأنا المطعمون إذا قدرنا *** وأنا المهلكون إذا ابتلينا

وأنا المانعون إذا أردنا *** وأنا النازلون بحيث شئنا

أما الفخر الذاتي فتجيب عنه لامية العرب، في أبلغ ما صورته الشعر للرجولة الكاملة، التي
نشدها الإنسان العربي والتي لها وقفة مع شعر الصعاليك.

- غرض المدح:

أحد أغراض الشعر الرئيسية عند العرب منذ الجاهلية، ويمكن القول أنه أهمها جميعا، فهو يعبر
عن الطبيعة التجارية للشعر، والمدح في اللغة هو الثناء والهدف منه في الشعر ذكر محامد المحمودين

ووصفهم بما يليق بهم من الصفات الحميدة، حتى وإن كان في ذلك بعض المبالغة التي لا يجب أن تتجاوزها إلى الإفراط.

وأغلب المدح يكون من أجل التكسب واستجداء المال، لذلك فإن معظم الممدوحين يجب أن يكونوا من الملوك والولاة والحكام أو ذوي النفوذ والسطوة والجاه والمال، وأقله ما يكون صادرا عن صدق محبة خالصة للممدوح.

إذن هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والحلم، والعفة والعدل والشجاعة والكرم، أو هو التنويه بفضائل الممدوح والتعريف بما فيه، والإشادة بذكوره، والرفع من شأنه، ولقد كان الشعراء الجاهليون يمدحون المكارم التي يفتخرون بها.

والمدح نوعان: مديح "للشكر والإعجاب، يغلب على أهل البادية كما هو عند امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، ومديح "للتكسب، ويغلب على أهل الحضر كما هو عند النابغة الذبياني والأعشى.

وقد اشتهر زهير بمدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان، في حين اشتهر النابغة بمدح النعمان بن المنذر ملك الحيرة، كما عرف به الأعشى والحطيئة، وقد قالوا أن أمدح بيت قالته العرب قول النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك صورة *** ترى كل ملك دونها يذبذب

بأنك شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

أما زهير فقد أثر عنه في المدح لاميته المشهورة:

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت *** ونال كرام المال في الجحرة الأكل

رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم *** قطينا بها حتى إذا نبت البقل

هناك إن يستخبلوا المال يخبلوا *** وإن يُسألوا يعطوا وإن ييسروا يغلوا

وفيهم مقامات حسان وجوههم *** وأندية ينتابها القول والفعل

وبما أن غاية المدح هي تخليد الممدوح بذكر مآثره وفضائله، فإنه يجب أن يكون بما يسهل حفظه وعلوقه في النفس، حكى عمارة أن جدّه جريرا قال: يا بني إذا مدحتهم فلا تطيلوا الممادحة، فإنه ينسى أولها ولا يحفظ آخرها.

وقد بحث النقاد عن أصح ما يمدح به من الصفات حتى لا يتجاوز المدح إلى نوع من الهجاء والذم، ذلك لأن الرغبة في المال قد تدفع المادح إلى وصف الممدوح بما ليس فيه، ومن هنا جاءت مقولة النقاد في هذه المسألة كابن قتيبة الذي يقول: "إن الشاعر قد اوجب على صاحبه حق الرجاء وضمامة التأصيل، وقرر عنده ما ناله من المكارة في السير، تبدأ في المديح، فبعثه على المكافأة وهزّه للسماح" من كتاب الشعر والشعراء.

أما ابن رشيق في العمدة فيقول: "وسبيل الشاعر إذا مدح ملكا أن يسلك طريق الإيضاح والإشادة ، ويتجنب مع ذلك التقصير والتجاوز (المبالغة التي تخرج في وصف الشيء حد يصل به إلى المجاوزة)، والتطويل، فإن للملك سامة وضجرا ربما عاب من أجلها ما لا يعاب، وحرمة من لا يريد حرمانه".

فالمقولة الأولى يتحدد فيها دافع المدح، بالرجاء في الكسب أو الطمع في الرضى، بينما المقولة النقدية الثانية يستفاد منها سبيل المدح الذي يجب أن يسلكه الشاعر في أسلوبه الشعري من إيضاح: الوضوح في إيراد الصفات والأعمال التي تميز الشخصية:

- الإشادة: الرفع من الشأن لذات الممدوح.

- أن يكون وسطا بين التقصير والطويل، دفعا لكل ما يمكن أن يفسد الغاية من المدح من عدم إيفاء الممدوح حقه، أو التأثير السلبي على الممدوح/ السأم والملل.

- إضافة إلى ما يجب أن تتوفر من جزالة وفخامة ومتانة ملاحظة، ضرورة العودة إلى نص الممزق العبدى المأخوذ في نص التطبيق والذي مطلع القصيدة فيه:

أرقت فلم تخدع بعيني وسنة *** ومن يلق ما لاقيت لا بدّ يأرق

- خصائص الشعر الجاهلي:

- الشعر الجاهلي هو الإنسان الجاهلي نفسه، والآثار الشعرية لديه تطالعنا على أن الرواية الشعرية للجاهليين لما فيها من حركة ونمو هي ترجمة هذا الإنسان إلى شعر، وإثبات ذاته في مجال هذه الحركة، بل تأكيد نفسه في الوجود عن طريق اللغة ذاتها، إنه كينونته:

- الحركة من خلال طلب الوقوف في المطالع والمقدمات الطللية، توحى بالمسير والاستمرار

- البداية بأدوات الاستفهام أو الاستفتاح والتنبية، بكل ما توحىه من دلالة ومعنى على ذات

الشاعر.

- وحدة التعبير والأسلوب، إذ يكاد يتفق فيه أكثر الشعراء، فقصائدهم متشابهة يحكمها

النمط المتكرر في بنائها وأغراضها، وما ذلك إلا لوحدة البيئة التي عاشوا فيها، لقد تشابهت

قصائدهم من حيث مسرحها الفكري وإشعاعاتها الذاتية والموضوعية، الأمر الذي جعل النقاد فيما

بعد يعدونها كتاباً مقدماً لا يجوز الخروج عنه. (نظرية عمود الشعر، مذهب الأوائل)، (مقدمة طللية،

نسيب، وصف الراحلة، الرحلة، الغرض)، تتكرر عند الجميع.

- الصدق وتصوير العاطفة، وتمثيل الطبيعة " فالشعراء لا يتصنعون في كلامهم وإنما يقولون ما

يخطر على بالهم، ويصورونه كما يتمثل لمخيلتهم"، كما قال حنا الفاخوري في كتابه، تاريخ الأدب

العربي.

- الخيال القريب: الأخيلة والتصوير عند الشاعر الجاهلي قريبة المتناول، وخیاله قريب صادق، ومرد ذلك " إذا طراً لهم خيال صوروه كما يتخيل لهم"، والعربي لا يرى من المناظر غير وجوه البادية ولا يسمع من الأقايص إلا البطولة والحرب ولا يعرف من الجمال إلا جمال المرأة، وإذا عمد في خياله فقد اعتمد على التشبيه "فالأفكار تتلاقح في صنوف من التشبيهات وإليها".

- تصوير الصحراء والطبيعة: الموطن الذي نشأ فيه الشعر العربي وترعرع، فهي مهبط الوحي الشعري.

- الشعر العربي الجاهلي شعر غنائي: الذي يعني فيه الشاعر بتصوير نفسه والعبير عن شعوره وحسه، وقد كانت أشعاره في الحماسة والفخر، والغزل والثناء...

- مساق الأبيات: يأتي غالبا متفككا، يعتمد فيه الشاعر وحدة البيت، فالشعر الجاهلي تدفق بسهولة بعيدة عن الترتيب، وفوق ذلك يلتصق بالحقيقة التصاقا.

المحاضرة الثالثة

الشعر في صدر الإسلام:

لما جاء الإسلام بقي الشعر في الساحة العربية، ذلك أن الإسلام لم يقف موقفا رافضا له، في المعاني الجميلة التي يحملها والمكارم والفضائل التي يهدف إلى بثها في قصائده، بكل ما تحمل من قيم فاضلة في حياة الأفراد الاجتماعية والأخلاقية، لأنها لا تعترض مع ما جاء به الرسول عندما قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وإنما رفض الإسلام ما يتعارض وجوهر الدين من توحيد، فرفض كل ما يدعو إلى الشرك، ويضرب بالذوق العام والأخلاق التي دعا إليها، ومن ثم كان رفضه لما تعرض لأغراض الناس وسمعتهم وفضحهم وإهانتهم، وهذا ما نصت عليه الآيات 224-227 التي وردت في سورة الشعراء: "وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا ﴿٢٢٧﴾ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٨﴾".

- موقف الإسلام من الشعر:

ترسم آيات سورة الشعراء صورة للشاعر المذموم في مقابل صورة للشاعر المحمود، وهو ما يظهر اهتمام القرآن الواضح بالشاعر وشعره، وتحدد طبيعة هذا الاهتمام من خلال ما وصلنا عن الرسول صلى الله عليه وسلم في موقفه من الشعر "إنما الشعر كلام مؤلف، فما وافق الحق منه فهو

حسن، وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه"، وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: "وإنما الشعر كلام، فمن الكلام خبيث وطيب"

تدل هذه النصوص على المقاربة الجديدة للشعر والمنظور الإسلامي له: إذ تحدت فيه طبيعة الشعر بأنه كلام مؤلف ثم المعيار الذي ينظر به إلى الشعر الحسن، موافقة الحق والخيرية كهدف مضموني، وهو جوهر الدين الجديد، إذ الجمالية ليست قط في التأليف والكلام الجميل الذي يترك متعة وراحة، وإنما الغاية التي من أجلها جاء هذا الكلام، والخيرية في الدين ما وافق العقيدة، ما وافق الشريعة، ما وافق الفضائل والأخلاق الحميدة التي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قد جاء ليتممها "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وهذا ما نصت عليه آيات سورة الشعراء عندما سمت الشاعر الغوي والشاعر المؤمن والحدود المائزة بينهما بين كل واحد منهما

وقد حذر الإسلام إلى جانب الإباحة للشعر، من غلبته على وجدان الفرد وإلهائه عن ذكر الله، والدعوة به إلى العودة إلى أخلاق الجاهلية المذمومة، وعاداتها التي أعلن الإسلام الحرب عليها، كالمفاخرة عن طريق استدعاء الشعر "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم"، في الحادثة المشهورة بين الأوس والخزرج.

- دور الإسلام وتأثيره في الشعر:

لقد جاء الإسلام بنهضة فكرية مرتبطة بالروح والجسد ضد الجاهلية، فتغيرت معاني الشعر ومفاهيمه، إذ اصطبغت بصبغة دينية إسلامية، فقد حددت آيات سورة الشعراء وبعض أحاديث

النبى ما هية الشعر وطبيعته، كما حثّ الإسلام الشعر وندبه للدفاع عن الدعوة الجديدة " اهجهم وروح القدس معك"، فلا انفصام بين الأخلاق والدين الجديد الإسلام، إذ جوهر الإسلام الأمر بالأخلاق الحميدة والنهي عن الكذب والخيانة (يقولون ما لا يفعلون)، والكلام مسؤولية، كما قال تعالى في سورة الصف الآيتين -: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾".

فكيف تحققت هذه المبادئ في شعر صدر الإسلام؟ وما هي حالة الشعر في صدر الإسلام وخصائصه؟

لقد تغيرت علاقة العرب بالشعر إذ كانت قوية ومنزلته في نفوسهم كبيرة، تحظى بالانتشار والرواج، فانتقلت هذه الخطوة إلى القرآن بقوة بلاغته وفصاحته وإدهاشه العجيب لهم، وهو ما أثر فعلا على حياتهم الأدبية، فانعكس في قصائد تلك المرحلة، ومن أبرز هذه الآثار:

انحسار الفنون والأغراض التي كانت منتشرة قبل الإسلام، فقد قضى على سجع الكلمات لارتباطه بالوثنية الجاهلية التي تتنافى وعقيدة الإسلام، وظهر نوع جديد من السجع تأثر به كثيرا الخطباء في خطبهم.

- تراجع غرض الغزل والهجاء في هذه المرحلة لأنه تعارض ومفهوم الدين الجديد في رؤيته للمرأة والعفة والزينة، والمجاهرة بالإثم والسفور، فيما نصت عليه الآيات التي تدعو إلى الحجاب،

وتجاوز فكرة المرأة المتعة كما قدّمتها المرحلة السابقة، وروحها الشعر الذي قيل فيها، ومن ثم هجر الشعر الذي يصف مجالس اللهو والخمر.

كذلك الهجاء الذي يتعرض فيه الشعر الذي يتعرض فيه الشعراء لأعراض الناس، والخط من قيمهم الذاتية والأخلاقية، والفخر الباطل، والمدح الكاذب المنافق.

- حافظ الشعراء على أغراض الشعر التقليدية التي عرفت في الجاهلية كالمديح، فقد مدح الشعراء المسلمون الرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من القصائد وأشهر قصيدة - بانت سعاد - لكعب بن زهير، كذلك حسان وكذلك عبد الله بن رواحة، كما رثاه حسان بن ثابت بقصائد خالدة منها التي مطلعها:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير *** وقد تعفو الرسوم وتهمد

استخدم الشعر في الدفاع عن الاسلام، وفي نقل أخبار الأحداث التي مرّ بها الإسلام

كقصيدة حسان التي مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء *** إلى عذراء منزلها خواء

ووصف المعارك التي خاضها المسلمون، كوصف معركة الخندق لحسان أيضا:

هل رسم دراسة المقام يباب *** متكلم لمجاور بجواب

وقد صور هذا الشعر بطولات الصحابة وشجاعتهم وثباتهم، كما أوجد الشعراء في هذه المرحلة مواضيع جديدة استلهموها من الدين الجديد وعقيدته: كالدعوة إلى الدين الإسلامي الجديد والإشادة به، وبالقيم الجديدة التي دعا إليها، كقصيدة عبدة بن الطبيب في الدعوة إلى البرّ بالوالدين والتي مطلعها:

أبني إني قد كبرت ورابي *** بصري وفيّ لمصلح مستعتب

عموما فقد تضمن شعر صدر الإسلام معاني التوحيد، التقوى، خشية الله، كما أصبح يحتوي على العواطف الإسلامية.

أما من ناحية الأسلوب فقد تأثر الشعراء بفصاحة القرآن وبلاغته إذ كثيرا ما استلهم هؤلاء الشعراء مفرداته وتراكيبه وصوره، وقد مالت الألفاظ إلى اليسر والسهولة، وشاعت مفردات من المعجم القرآني: الجنة، النار الإيمان الشرك، الكفر، الآخرة، ومن نماذج هذا الشعر رثاء عبد الله بن رواحة لحمزة:

بكت عيني وحق لها بكاءها *** وما يغني البكاء ولا العويل

على أسد الإله غداة قالوا *** أحزمة ذلك الرجل القليل

عليك سلام ربك في جنان *** مخالطها نعيم لا يزول

وفي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيم إثرها لم يفد مكبول

نُبِّت أن رسول الله أوعديني *** والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة *** القرآن فيها مواعيط وترتيل

إنّ الرسول لنور يستضاء به *** مهتد من سيوف الله مسلول

في عصابة من قريش قال قائلهم *** ببطن مكة لما أسلموا زولوا

وتعدّ هذه القصيدة من أجمل أشعار صدر الإسلام.

المحاضرة الرابعة:

- صورة المرأة في شعراء صدر الإسلام (غرض الغزل في صدر الإسلام):

تبدو صورة المرأة عند شعراء صدر الإسلام شديدة القرب من صورتها عند شعراء الجاهلية. فأكثر هؤلاء الشعراء مخضرمون شهدوا الجاهلية والإسلام، وأكثرهم قالوا الشعر في الجاهلية، فضلا عن أن الأغلبية منهم بدو بعيدون عن مركز الدين في المدينة، ولم يتأثروا بالإسلام التأثير الذي ينعكس في شعرهم بصورة عميقة.

لذلك يتصل نموذج المرأة بتجربة الحب عند الشاعر العربي اتصالا وثيقا، فالشاعر يصف لوعة الفراق، أثر الهجر وحرقة الهوى، ويقرن ذلك بوصفه لجمال تلك المحبوبة التي تركت في نفسه أثرا بعيدا، أي أن الشاعر كان يقدم المرأة المثل أو النموذج الأفضل، قارنا ذلك بأثر هذا النموذج على النفس، حيث نجده يتحدث عن جمال جسدها ببضاظته وجمال العيون والشعر والساقين والجيد والفم والأسنان، وهو ما نجده عند الشاعر في صدر الإسلام، لأن عين الشاعر موجهة في المقام الأول على عالم الشعر يستمدون منه نماذجهم الجمالية، قال كعب بن زهير في مطلع مدحيته للرسول صلى الله عليه وسلم:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول *** متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا *** إلا أغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عورا ض ذي ظلم إذا ابتسمت *** كأنه منهل بالراحل معلول

شجّت بذي شيم من ماء محنية *** صاف بأبطح أضحي وهو مشمول

تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه *** من ماء شاربة بيض يعاليل

فيا لها من خلة لو أنها صدقت *** ميعادها أو لو أن النصح مقبول

أمست سعاد بأرض لا يبلغها *** إلا العناق النجيبات المراسيل

نلاحظ معاني الهجر والفراق، وأثر ذلك على نفسه التي تعاني حرقة الهوى ولظى الهجران، ثم

التعرض لمواطن الجسد الجميل، والإثارة والإغراء، فتفاصيله واضحة بضاضة الجسد وامتلاؤه، جمال العيون، حلاوة الابتسامة، والرائحة الطيبة للفم.

فقد أبان الشاعر عن مسحة الحرمان وعلاقته بالحبيبة علاقة ذات شجون.

نلاحظ أيضا ابتعاد الشاعر عن إظهار غواية الجسد وانصرافه عن التصوير الحسي الذي يخلق

الرغبة في ذات المتلقي ويثير فيه الشهوة والغريزة، وذلك ما نجده عند شاعر آخر هو حميد بن ثور

الهلال: حيث يمتزج عنده الحب بالجمال ويتحدث عن خيبة الرجاء والأمل المقطوع في الحبيبة، لكنه

يلوره بالمنظور الإسلامي، إذ كل نعيم وكل ابتلاء هو من عند الله، فالله هو المالك والمانع والمعطي

يقول:

أما لعيني لا أبا لأبيكما *** إذا ذكرت ليلى تربُّ فتدفع

أجد بليلي مدحة عربية *** كما حبرّ البرد اليماني المسبّع

تشكّ بما أسديت أو ترجو وعدّها *** وما وعدّها فيما خلا منك وينفع

وليلي أروج الجيب مياعة الصبا *** أبي لما يأبى الكريم وترفع

مشرفة الأعطاف مهضومة الحشا *** بها القلب لو تجزيه بالقرض مولع

///

ولكنها الدنيا غرور ولا ترى *** لها لذة إلا تبید وتنزع

فلله ما في السماء وتحتها *** له المال يعطي من يشاء ويمنع

فتحول الشاعر واضح من وصف الحبيبة وأثرها على نفسه في عفة وحشمة، وإن تقيد الشاعر

بمظاهر الوصف الجاهلي للمرأة، لكن التحول في الأخير حيث يطغى المنظور الإسلامي عليه في

مفهوم النعيم والعبر والابتلاء، إذ كل من عند الله العطاء والمنع.

وذلك ما يجلي سمة الشعر في صدر الإسلام، مع تحول منظور الناس إلى ما يحيط بهم،

والتحول في عقيدتهم إلى الدين الإسلامي الجديد.

المحاضرة الخامسة:

مدخل إلى دراسة الشعر الأموي

لم يكن الشعر الأموي منقطعاً عما قبله، منبت الصلة عن الموروث الشعري القديم، وإنما كان كمثل حلقة في سلسلة التطور التي شهدتها الشعر العربي منذ فجر وجوده، إنها سمة تطور الأدب على مرّ العصور التي تحتاج إلى فترة تطول أو تقصر.

حسب الظروف العامة التي تحيط بهذا التطور، وتحدد أبعاده وملاحظه وهو ما ظهر في السمات العامة التي مثلت انعكاساً فنياً لتجارب الشعراء في العصر الأموي، وظروف العامة التي مثلت انعكاساً فنياً لتجارب الشعراء في العصر الأموي، وظروف حياتهم الجديدة، فكان شعرهم متراوحاً بين الإمتداد للموروث القديم، والسير على خطاه في بعض جوانبه، ومحاولات التجديد التي لم تكن في غالبيتها مقصودة، إنما فرضتها طبيعة الأدب في ظل المتغيرات العامة، "فقد حافظ الشعراء على أغراض العربي الجاهلي بنية القصيدة وظواهرها الفنية، ولكن تطور الشعر كما في غرض الغزل العذري والحسبي، أو في ظهور شعر النقائض، وشعر الفتوحات الإسلامية.

كما ظهرت محاولات التجديد هذه مظهراً مهماً لآثر الإسلام، ممثلاً بالقرآن الذي غرس بذرة التطور في الشعر العربي، نمت وازدهرت في استجابة الشعر بفعل الزمن وسنة التطور للمؤثرات الإسلامية، حيث استطاع الشاعر أن يعبر عن التحولات التي طالت المجتمع، ومطاوعة اللغة له في الاستجابة لذلك، وهو ما لم يكن موجوداً وظاهراً في صدر الإسلام.

- العصر الأموي وعودة الروح إلى الشعر العربي:

تهيأت الظروف للشعر العربي في عصر بني أمية، وعاد له تألقه وبريقه بعد زوال دهشة المجتمع العربي أمام حدث الإسلام الكبير، وفضائه الروحي وتأثيراته في جميع مناحي الحياة، ثم أمام الوحي (القرآن الكريم) بأسلوبه المعجز وجمالية عباراته، لغته، وقصصه وأخباره، أو نسيجه الذي أبحر ذائقتهم وأروى فكرهم ووجدانهم، فما هي العوامل التي أدت إلى عودة الشعر وازدهاره وتطوره في هذا العصر؟.

1/ تشجيع خلفاء بني أمية على الشعر: فقد عملوا على تشجيع الشعراء، حبا للشعر أو تفسيراً له في خدمة المصالح السياسية للدولة، فتحول بلاط الخليفة إلى منتدى أدبي، تدار فيه حلقات الشعر ونقده، كل حسب تأدية المهمة التي أريد له أن يؤديها.

2/ تحول مقر الخلافة الأموية إلى الشام: مقصد الشعراء الجديد وميدان التباري والتنافس في مدح ملوك بني أمية وأمرائهم الذين عملوا على إذكاء روح الشعر بإغداق الأموال والعطايا والهبات للشعراء وشعرهم، وقد كان بعض هؤلاء الملوك والأمراء أنفسهم ذوي حسن قوي للشعر ونقده، كما مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك ويزيد بن معاوية الذي كان هو نفسه شاعراً ناهيك عن معاوية بن أبي سفيان، ففي قصورهم كانت تدار مجالس الأدب والشعر ونقده.

3/ إحياء روح العصبية القبلية: وعودتها إلى عهدها الجاهلي أو أشد فقد أمدّها بنو أمية باللهب والوقود فاشتعلت، وزادها اشتعالاً ما تأصل في نفوس العرب من حب الفخر والمباهاة،

ففشا الهجاء بين الشعراء وأدى ذلك إلى انشغال الشعراء بالشعر فكانت النقائص بين الفرزدق وجريير والأخطل.

4/ البيئات المختلفة للشعر: فالشعراء الذين شبّوا في الإسلام من بيئات مختلفة، ولهم

نزعات مختلفة ومذاهب مختلفة فظهرت روح جديدة في هذا الشعر، وقد مثلت هذه البيئات: بيئة الشام (المدح)، بيئة العراق (النقائض)، بيئة الحجاز (الغزل العذري والحسي)، أو البيئة السياسية وانقسام المجتمع على أحزاب استجاب لها الشعراء، فظهر الشعر السياسي أو البيئة الفكرية الثقافية العلمية التي غذاها النزوع على رواية اللغة والشعر كما في الكوفة والبصرة، وما عرف في هذه المدن من أسواق الشعر كالمرید بالبصرة والكناسة بالكوفة، حيث كانت تعقد حلقات العلم وتدار المناشدات الشعرية والمناظرات، وحيث ظهر الرعيل الأول من النقاد اللغويين والنحويين في نهاية القرن الأول الهجري، حيث اهتم هؤلاء العلماء بالنصوص الشعرية من جميع النواحي، بنية وتركيبا وفنا، وهو ما أثر في الشعر والشعراء (الخليل بن أحمد الفراهيدي، سيبويه، أبو عمر بن العلاء، حماد الراوية، المفضل الضبي، الكسائي، الفراء...).

4/ الفتوحات الإسلامية: كان لها دور على الشعر الذي نظمته شعراء الفتح الإسلامي

خصوصا في شعر الحماسة، ووصف المعارك والتحريض على الجهاد، ووصف المجاهدين والسلاح، ثم في وصف البلاد التي هاجر إليها هؤلاء المجاهدين الشعراء بعيدا عن أهاليهم ومرايح صباهم، فتغنى

هؤلاء الشعراء بالغربة ومواجهها والشوق إلى ديار الأهل، فظهر نوع جديد من الشعر سمّاه الدارسون شعر الحنين.

5/ التحولات الاجتماعية والحضارية في المجتمع الأموي: فقد ظهر الرفاه الاجتماعي

وكثرة المال على الناس، خاصة في بيئة الحجاز وعلى المواليين لحكم بني أمية، كما تحولت الحياة من مظهر البدوي إلى الحضري فانعكس ذلك على الشعر خاصة في الحجاز حيث برز الشاعر عمر بن أبي ربيعة بغزله الحسني.

المحاضرة السادسة:

شعر النقائض

- في اللغة:

إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وتطلق على الحبل، البناء، العهد، والنقض اسم البناء المنقوض إذا هدم، وناقضه أي خالفه، ونقضك الشيء: يخالفك، ويقال انتقض الجرح بعد البرء، وانتقض الأمر بعد التثامه.

مما سبق نستنتج أن كلمة النقائض تدل على: الإفساد، الهدم، المخالفة، والإبطال.

- في الاصطلاح:

مصطلح أدبي أطلق على نوع من الشعر شاع في العصر الأموي، اختص واشتهر عند مجموعة من الشعراء، توجّهوا فيه إلى خصومهم من الشعراء تضمنت غرض الفخر والهجاء.

والنقيضة قصيدة تنبني على غرضي الفخر والهجاء، حيث يلتزم الخصم بالرد على الشاعر الأول ملتزماً بحر القصيدة الأولى وقافيتها، وقد يشوب الفخر والهجاء شيء من النسيب والثناء والحماسة والسياسة، وقد يتجاوز الشاعر في النقائض الهدم والإفساد إلى استهداف الخصم ولو بالباطل والانتصار عليه بالافتراء والتزوير.

والنقيضة أو المناقضة تختلف عن المعارضة كون هذه الأخيرة تهدف إلى الموافقة لا المفارقة، كما تباعد عن المنافسة وتدل على الإعجاب بما تقدم، مما يحمل الشاعر الثاني على أن يحدو حدو الشاعر الأول ويسير على منواله فتبرأ قصيدته من معاني الذم والهجاء والانتفاض، ويحاول أن يبلغ فيما يحاكيه في الأداء الفني تعبيراً وتصويراً، تمثيلاً وتعليلاً كما فعل الطغرائي في لامية العجم التي حاكى فيها لامية العرب للشنفرى.

- نشأة النقائض:

يحمل تاريخ الأدب العربي من ألوان التنافس الأدبي ما جاء في المناضرات وقبلها المفاخرات والمراجعة، حيث يعتز الشاعر/ الخطيب بالنسب والأبجد والمناقب، وتكون بين شاعرين يحكم بينهما آخر، كما حصل في المفاخرة بين امرئ القيس وعلقمة الفحل، والتي حَكَّم فيها أم جندب زوج امرئ القيس.

لكن النقائض في حقيقة الأمر اقترنت بالعصر الأموي مع الفرزدق وجريرو والأخطل والكميت، وإن كان مظهرها الأولي لا ينفى عنها شعراء العصر الجاهلي، انطلاقاً من كونها خلط لغرضي الفخر والهجاء، وارتباطها بالعصبية القبلية التي عادة ما كانت تذكي روح الحماسة التي وفرت عناصر التّفجر والاستعار.

ولما جاء الإسلام حارب العصبية القبلية واستبدلها بالتوحيد والإخوة، والدفاع عن الدين مبطلاً كل أسباب التّهارش القبلي والعصبية له.

وفي العصر الأموي عادت العصبية القبلية بسبب الظروف التي أحاطت بالمجتمع الإسلامي، خاصة الفرقة السياسية، القومية والمذهبية، حيث أصبحت العصبية آلية دفاعية ووسيلة لغاية سياسية، واجتماعية ودينية وفنية وإبراز الكفاءة الأدبية.

لقد كانت النقائص في هذه المرحلة من العصر الأموي، وسيلة كفيلة لتحقيق ترويض الرعية والتحكم فيهم باستخدام المبدع/ الشاعر، الإبداع/ الشعر، وانشغالهم بتاريخهم وأيامهم وأنسابهم، وإذكاء العصبية فيهم لاشتغال الشعراء بعضهم ببعض تفاخرا وتنافرا، وصرفهم عن معارضة الحكم ونقد الظلم والانغماس في المعتكف السياسي، إضافة إلى خلق جو أدبي ثقافي يلي الذائقة العربية التي تحب المفاخرات والمناظرات.

- عوامل ازدهار شعر النقائص:

- الظروف السياسية: حيث تحددت آراء الشعراء وتضاربت آراء الأحزاب السياسية التي نشأت، والتي جعلت من الشعراء لسانا لها (تغلب الأخطل، تميم، مجاشع الفرزدق، يربوع وقيس جرير)، حيث تناول كل شاعر أيام قبيلته، مظهرها تعقبه لها.

- الفتوحات الإسلامية: وتأثيرها في دخول التمدن إلى المجتمع البدوي الحجاز في الحجاز، الترف الغناء واللهو، بينما تمسكت البصرة والكوفة بالطابع البدوي وأسواق الشعر، حيث وجد السكان في النقائص وسيلة لقضاء الوقت والتسلي بما يلقيه الشعراء بتحفيز من الساسة وتوجيههم الخفي في شيوع هذا النوع من النشاط الأدبي.

- نمو العقل العربي واتساع مخيلته: خاصة في الحوار والمناظرة السياسية والعقائدية والفقه والتشريع وعلو الجدل الفكري.

- التباري والمنافسة الأدبية: وإظهار البراعة والمهارة الشعرية في وسط حفز كثيرا على ذلك.

- الأصول الفنية التي قامت عليها النقائض:

- نقض المعاني: حيث يقوم الشاعر الثاني بإسناد المعاني التي أقرّ بها الشاعر الأول وتكذيبه فيما يدّعيه، أو يبطل آراءه ليضلّل من شأنه.

- تكذيب الخصم وإظهار إدعاءاته.

- مقابلة المعنى بنظيره، وقلب المعاني وردها.

- وحدة الموضوع والتزام الشاعر الثاني بالموضوع الذي عاجله الشاعر الأول، الفخر والهجاء.

- وحدة الموسيقى: في الوزن والقافية، حيث يلتزم الشاعر الثاني ببحر وروي قصيدة الشاعر

الأول.

- أغراض النقائض ومعانيها:

تقوم النقائض على مقومات محددة تستند عليها في بنيتها المضمونية، حيث تنبني على

فني/غرضي الهجاء والفخر متكئة في ذلك على ذكر الأنساب، وأيام القبيلة (العرب)، ومفاخرهم

وأمجادهم ودوافع الشعراء الخاصة، كإبراز كفاءتهم الشعرية وتفوقهم الأدبي على خصومهم.

قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بني لنا *** بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا بناه لنا المليك وما بني *** حكم السماء فإنه لا ينقل

بيتا زرارة محتب بفنائه *** ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

يلجون بيت مجاشع وإذا احتبوا *** برزوا كأنهم الجبال المثل

لا يحتوي بفناء بيتك مثلهم *** أبدا إذا عدّ الفعال الأفضل

ضربت عليك العنكبوت نسيجها *** وقضى عليك به الكتاب المنزل

وقد ردّ عليه جرير بقصيدة مشهورة: تغنى بشاعريته ونقض معاني قصيدة الفرزدق:

أعددت للشعراء سمّا ناقعا *** فسقيت آخرهم بكأس الأوّل

لما وضعت على الفرزدق ميسمي *** وضعا البعيث جدعت أنف الأخطل

أخزى الذي سمك السماء مجاشعا *** وبني بناءك في الحضيض الأسفل

ولقد بنيت أحسن بيت يتنى *** فهدمت بيتكم بمثل يذبل

ولقد تركت مجاشعا وكأنهم *** فقع بمدرجة الخميس المحفل

إن الذي سمك السماء بني لنا *** عزّا علاك فما له من منقل

- السمات الفكرية والفنية في شعر النقائض:

- التقليد في المعاني والمباني لاعتمادها على فني الفخر والهجاء.
- ذكر المناقب والمثالب مغموسة في الروح القبلية أو نابعة من الأثرة الشخصية، وهي معاني لا تلقي القبول في الدين الإسلامي.
- التجديد ويبدو ذلك في التأثير بالدين الإسلامي، حيث تمكن الشعراء من تمثل الروح الإسلامية في معجم القصيد وأسلوبها وصورها، وهو مظهر الاقتباس والتضمين من القرآن ليعززوا بها مفاخراتهم، كما أخذوا حقائق الإسلام من قصصه وخصوصه وأحداثه وأسقطوا مقاصدها السامية على أديهم.
- سقوط المعاني وابتدائها، وبداءة الألفاظ أحيانا كالتعرض لزوجات بعضهم.
- التصوير المثير كهجاء الأخطل لجريز من نفي الكرم عن قومه:
- قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم *** قالوا لأهمهم بولي على النار
- النقائض مدونة تاريخية هامة، سجلت أيام العرب وأحداث تاريخهم الواقعية، وأنسابهم وقبائلهم.
- الواقعية والمبالغة في الوصف بما يجعل الخيال فيها أكثر من الواقع والمبالغة ضرب من التجويد الفني قصد التأثير والإقناع ولو بتحريف الواقع.

- المحافظة على تقاليد القصيدة العربية في البدء بالطلل والنسيب...

المحاضرة السابعة

الغزل في العصر الأموي:

تمهيد:

لما جاء الإسلام غير النظرة إلى كثير من مجالات الحياة المختلفة منها العلاقات بين الرجل والمرأة، إذ صان هذه الأخيرة كما هذب علاقة الرجل بالمرأة من خلال قيم الاحتشام، العفة، وغض البصر وصان الجمال من الابتذال ودفع به إلى السمو في الحسن والأخلاق، إضافة إلى تقييد الشعر بقيود أخلاقية، هذبت قول الشعراء في تناولهم للمرأة...

ولما جاء العصر الأموي تبدل حال المجتمع، وتغير نمط العيش، مما أدى إلى تغير حالة الأدب في هذا العصر شعرا ونثرا، إذ عاد النشاط إلى قول الشعر وازدهرت فنونه ونشط شعراؤه وكثرت أسواقه، وكان هذا لعوامل عدة:

- انحسار الفتوحات الإسلامية: والمثالية التي تركزت في عهد الخلفاء الراشدين في مجال الدعوة ونشر الدين، حروب الردة، فتح فارس ومصر، العراق، قوة الوازع الديني...
ولما جاء العصر الأموي تراخى هذا الوازع مع بعض ملوك بني أمية (يزيد بن معاوية وابنه الوليد)، ومنه إلى عامة الناس، ففشيت مظاهر الغزل والعبث والحب بدل الحرب والجدّ.

- كثرة الجواري التي غنمها المسلمون في الفتوحات، وأثر ذلك على المجتمع العربي والإنسان البدوي، سواء في أنماط السلوك الذي دخل معهن وأنواع المباحج التي انتشرت بوجودهن في اللباس والكلام والرقه والتسامح في الاختلاط بهن ومنافسة الحرائر ومن ثم ارتفاع الحشمة والحياء والعفة في القول.

- الثراء: أغدق بنو أمية المال على أهل الحجاز: مكة والمدينة وعلى الموالين لهم، فظهر الثراء والغنى، وظهرت معه مظاهر الفسق والتعرض للنساء خاصة في المدن.

- الغناء: تبدلت الحياة في المجتمع العربي من حياة البادية والصحراء إلى حياة البيوت والقصور والاستمتاع بأموال الدنيا وبالغناء والمجون، وقد كان الغناء معلما على الحضارة رعاها بنو أمية وخصصوا له مجالس الاستماع كيزيد بن معاوية، وظهر مغنون كابن مسجع وابن سريح ومعبد وحبابة وسلامة القس.

- استقلال الغزل: ما ميز الغزل في الجاهلية عم تفرد به قصائد مستقلة ، إذ جاء منصوبا في المقدمات من خلال النسيب، أو وصف محاسن المرأة الطبيعية، أو تصويرا لشهوة متفجرة كمعلقة امرؤ القيس.

ولما جاء العصر الأموي بدأ الغزل يستقل كغرض من خلال مقاطع نافست القصائد المطولات، تميزت بوضوح معانيها وسهولة التناول وقربها من عامة الناس، إضافة إلى خفة موسيقاها، مما جعلها تشيع على الفؤاد المتغير ومما زاد في شيوعها تقبل الذوق العربي الأصيل لها في الحجاز

ونجد والإقرار لها بالإمتاع والإبداع من قبل أعلام الشعر آنذاك، كما يروى عن الفرزدق الذي قال فيها (هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكت الديار)، أو فيما يروي عن جرير الذي عبر عن إعجابه بها في قوله: (إن هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه).

- عمر بن أبي ربيعة ودوره في تطور الغزل:

تجلى ذلك من خلال:

- نظم المطولات المفصلات التي يقص فيها عبثه ولهوه ويفخر بمغامراته مع النساء.
- وقف جميع شعره على غرض واحد هو الغزل، إذ تخصص فيه حتى عدّوه شاعر المرأة في تاريخ الأدب العربي.

- أنماط الغزل في العصر الأموي:

يتجلى ذلك في محاكاة شعراء العصر الأموي لأنماط الشعر القديم، حيث يظهر تأثير الماضي وامتداده في الحاضر في:

* الطلل الذي يخلص فيه الشاعر إلى النسيب كما عند الفرزدق:

أما على أطلال سعدى نسلم *** دوارس لما استنطقت لم تلم

وتوقا بها صحي عليّ وإنما *** عرفت رسوم الدار بعد توهم

يقولون لا تهلك أسي ولقد بدت *** لهم عبرات المستهام المتيم

فقلت لهم لا تعذلوني فإنها *** منازل كانت من نوار بمعلم

- في غزل المطالع جرير:

أقلّ اللوم عادل والعتابا *** وقولي إن أصبت لقد أصابا

ووجد قد طويت يكاد منه *** ضمير القلب يلتهب التها

سألناها الشفاء فما شفتنا *** ومنّتنا المواعيد والخلابا

في وصف الطعينة: إذ تتبع الشعراء الطعينة - المرأة في الهودج - ودلالة على الفراق بعد

الاجتماع والسفر بعد الإقامة واصفين مواقع الذات والم الفراق والشكوى منه أكثر من الوقوف

على المحاسن، كما في قول ذي الرمة:

نظرت إلى أظعان من كأنها *** موليّة ميس تميل ذوائبه

فأبدت من عيني والقدر كاتم *** بمغر ورق نمت علي سواكبه

تعرجن بالصمان حتى تعذرت *** عليهن أرتاع اللوى ومشاربه

تراءى لنا من بين سحفين لمحّة *** غزال أحّم العين بيض ترائبه

- الغزل العذري:

تيار جديد في الشعر الأموي اهتم فيه الشعراء بتصوير المرأة تصويراً راقياً، بني على الشرف والعفة، وقدمها في هيئة لا تنكرها فضائل العرب وسلوك لا تحرمه شريعة الإسلام.

وقد مثل هذا التيار كثير من الشعراء دلت أسماء حبيباتهم التي التصقت بأسمائهم (مجنون ليلي، جميل بثينة، كثير عزة)، على ما مثلت المرأة من بطاقة هوية لمجموعة من الشعراء أصبحوا لا يعرفون إلا بها، كانت المرأة الأنثى وسماً وعلامة على طبيعة التجربة التي عاناها هؤلاء الشعراء، وعلى دلالة نشاط الغزل في العصر الأموي.

- عوامل ظهور ونشاط الغزل العذري:

- تأثير الإسلام في رسم طرائق التعامل والسلوك مع المرأة وتحديد أسس علاقة الرجل معها: المودة / السكينة/ عدم المواعدة سرّاً، وكذلك تأثير أسلوب القرآن الذي ابتعد عن الوصف الجسدي لها، والتركيز على البعد المعنوي الأخلاقي الداعم لقيم الستر والعفة والحياء.

- قيم لبيئة قبيلة بني عذرة وشهرة أهلها في العفة وأخلاق النقاء والصفاء والفضيلة السليمة بعيداً عن المدن.

- تأثير سلطة التقاليد البدوية في رد كل من تشبّب بالفتاة أو سلطة العرف.

- سلطة اللاوعي التاريخي المستمد من الانتماء العربي الذي يرتفع عن التخلع والزنى والخنى ويقدس الطهر والعرض ونقاء النسب.

- الغزل العذري بين الحقيقة التاريخية واختلاف الرواة:

شكك بعض المستشرقين في وجود هذا النوع من الحب، وتأثير كثير من الدارسين بهذا التوجه، مما وضع الشعراء العذريين تحت المساءلة في حقيقتهم، خاصة في ظلال الثقافة الشفوية التي طغت على ذلك العصر، هل هم فعلا حقيقيون أم أنهم مجرد أمثال مضروبة عن العفة والصبر والتضحية في الحب، خاصة في فترة العصر الأول للإسلام، حيث احتدم الصراع بين العقيدة والغريزة.

- طبيعة الحب العذري:

يقوم على العفة والتوحد والوحدانية، إذ يقف الشاعر فيه على امرأة واحدة حتى عرف بها واقتن اسمه به: جميل - بثينة، الإجلال والإكبار والتقديس للمرأة دون التأليه أو الإشراك.

كقول أحدهم:

أراني إذا صليت تمت نحوها بوجهي *** إذا كان المصلى ورائيا

وما بي إشراك ولكن حبها *** وعظم الجوى أعيى الطبيب مداويا

الحرمان وكبت شهوة الجسد، خضوعا لضوابط الدين ومرضاة الله، وكذلك اليأس .

- معاني الشعر العذري:

- الإيمان بأن الحب قضاء وقدر.

قال قيس بن ذريح:

خليلي لا والله لا أملك الذي *** قضى الله في ليلي ولا ما قضى ...

قضاها لغيري وابتلاني بحبها *** فهلا بشيء غير ليلي ابتلانا

وقال جميل:

تعلق روحي روحها قبل خلقنا *** ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد

- الحب شقاء خالد وداء مميت تقول مجنون ليلي:

لو سيل أهل الهوى من بعد موتهم *** هل فرجت عنكم الكرب

لقال صادقهم: أن قد بلى جسدي *** لكن نار الهوى في القلب تلتهب

- تحدي الوشاة

- اعتزال الناس: كقول عروة بن حزام

ويا ليت أن الدهر في غير ريبة *** بغيران نرعى القفر مؤتلفان

- الهزال والشحوب والذبول والضعف والجنون.

- خصائص الغزل العذري:

أ/ الفكرية:

- الصراع بين العقيدة والشهوة سما به عن الابتذال ووجهه توجيها رشيدا بعيدا عن غلواء

الغريزة

- الرضا بالحرمان والعذاب والمرض لأنه قضاء وقدر

- الترابط والتوافق في هذا الشعر والحياة الاجتماعية التقليدية حيث سلطة العرف.

ب/ العاطفية: تمتلئ قصائد الغزل العذري بأحاسيس الحب والشوق والشكوى والعذاب

والياس والوجد والألم والرجاء والتمني.

ج/ الفنية:

- شيوع الوصف الذي توجه به الشعراء لخواج نفوسهم وعواطفهم.

- اعتماد الخيال من خلال الأدوات الفنية: التشبيه، الاستعارة، المجاز.

- الطبع والابتعاد عن السفة والإغراق في البديع.

د/ اللغوية:

- الرقة واللبن بما تحكيه تجربتهم العاطفية

- الشفافية الرهافة التي تتناسب والبوح بمواجعهم وأشواقهم.

- مفردات ذات إشعاع عاطفي نقلت ما يغور في نفوسهم من معاني الحب والشوق، وما

تفرع عنها من مفردات الفراق، العتاب، الهجر، الشجن، الحزن، الحنين، اليأس، السهر، الفجر...

- الغزل العمري (الحضري):

يسميه البعض الغزل الحسي: وهو الغزل الذي يتجه فيه الشاعر إلى تصوير ما تدركه الجوارح

والحواس أكثر مما يتأمله العقل والروح، وهو الغزل الصريح: لما فيه من جرأة وصراحة في التعبير عن

الجنس والغريزة والشهوة، وفي تصوير مفاتن الجسد الأنثوي تصويراً فاتناً.

وهو الغزل العمري نسبة إلى عمر بن أبي ربيعة الذي برع فيه واشتهر في حواضر مكة والمدينة

ودمشق.

- عوامل ازدهار الغزل العمري:

- فتور الجهاد، الثراء ووفرة المال، انتشار نمط جديد مع تدفق الجوّاري وملك اليمين من

الأعاجم، شيوع مجالس الطرب والغناء واللهو بالحوضر، وظهور أسلوب جديد في الحياة (المدينة/

بدل البادية)، اندماج المرأة مع الحياة الجديدة من خلال المشاركة في المجالس المختلفة: الأدب

والغناء..

- طبيعة الغزل العمري:

- التعبير الصريح عن الشهوة- الطرب- الغناء - الحمرة-
- حب عابر ينتهي بانتهاء دواعيه- لقاء: مجلس...
- اللهو والعبث بسبب ظرفيته (عابر) لذلك فهو بلامعانة (مسرة ومرح، أي لا يصور الآلام، والشقاء والحرمان...)
- التعالي والثقة: حيث يبدو الإعجاب بالذات.
- التعدد لا التوحد: لا يقف قلب الشاعر على امرأة واحدة.
- السطحية لا التعمق بسبب التعدد

- المرأة كما صورها الغزل العمري:

- تصوير مفاتن المرأة وتقاطيع الجسد بحثا عن الشهوة والمتعة أي الاهتمام بالمظهر لا الجوهر، والخلق لا الخلق والمحاسن على الفضائل، اعتماد الطبيعة بنوعيتها الجامدة والمتحركة في وصفهم للمرأة، مما جعل الوصف يحقق نوعا من التداخل بين كمال الإنسان وكمال الطبيعة، التشبيه بالحيوانات والنباتات...

- تصوير المعالم الحضرية من خلال مجال اللهو والطرب والغناء والأدب أو من خلال منتجات الحضارة من أنواع الطيب والمسك واللباس والجواهر.

- تصوير العواطف دون الغوص فيها، والخداع من أجل الاجتماع، إضافة إلى المجاهرة والفخر بالفجور، كالاعتراف بالقصص العاطفية والمغامرات...

- خصائص الغزل العمري:

1/ الفكرية:

- الواقعية لأنه يربط الشعر بالإنسان جسدا وروحا.
- تصوير الفن للغريزة بعيدا عن العفة ورقابة الدين وسلطة الأعراف والتقاليد.
- التعدد لا التوحد - تعدد حبيبات الشاعر وانتفاء الإخلاص في الحب
- العودة إلى الفكر الجاهلي: مفاهيمه وقيمه

2/ النفسية:

- العواطف السطحية العابرة وعدم مكابدة تجربة الحب.
- أحاسيس قصيرة الأعمار تمتاز بالبهجة والمسرّة والتفاؤل
- الإقبال على الجمال والإشباع منه كبت ولا حرمان
- التصوير الحسي للمرأة ما يقع عليه الحس لا المستور لا في القلوب والنفوس.

3/ الفنية:

- قلّد فيه الشعراء النمط الجاهلي البدوي والنمط الذي خالطته الحضارة
- قصر القصائد - اجتراح البحور - شيوع القص والحوار، وذلك لأنه مرتبط في الغالب - الاستجابة لما يتطلبه الغناء والتلحين، تصوير الأحداث والمغامرات.

- الخصائص اللغوية:

- سهولة اللغة والابتعاد عن الغريب، الألفاظ المألوفة، الابتعاد عن الإسفاف مع الاقتراب من المتداول، الابتعاد عن الجزالة.
- التركيب المحسوس في قاموس الحسن لتركيز الشاعر على المنظور من المرأة أو المسموع أو الملموس.

- المراجع الخاصة بالمحاضرات:

- القرآن الكريم.
- الحديث النبوي.
- فجر الإسلام لأحمد أمين.
- القصيدة الجاهلية في الأصمعيات: علي الغريب، محمد الشناوي.
- سيمياء النموذج في الشعر الجاهلي: لخضر هني.
- المرأة عند شعراء صدر الإسلام: حسين عبد الجليل يوسف.
- حياة العرب الأدبية: الشعر الجاهلي: عمر عروة.
- شعر الغزل عند امرئ القيس: دراسة في الأدب الجاهلي ل: عمران إسماعيل فيتور.
- القيم الجمالية في الشعر الجاهلي: عبد الحسن حسن خلف.
- الحب عند شعراء الإسلام في العصر الأموي، ل: ياسر محمود الأقرع.